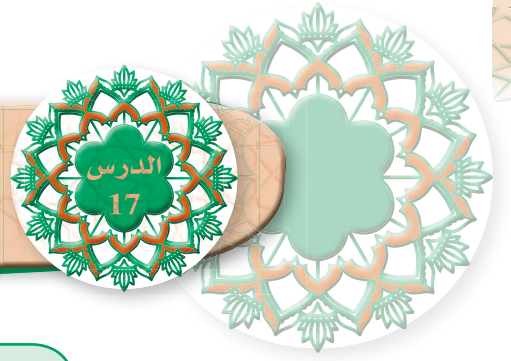


صفات الله سبحانه وتعالى في الفلسفة الإسلامية (الوجود)



أهداف الأنشطة

1. أن أتعرف وجود البارئ عز وجل؛
2. أن أثبت أدلة وجوده تعالى في الفلسفة الإسلامية؛
3. أن أتمثل قيم الوجود الحق: كمالاته وجماله وجلاله.

تمهيد

مدار البحث بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين هو قضية وجود الله، والاستدلال على ذلك بالنظر العقلي، والسند الشرعي، مع وجود اختلافات وتصورات بين علماء الكلام والفلاسفة المسلمين في تناول قضية وجود البارئ عز وجل، كما كانت قضية وجود واجب الوجود مثار بحث في الفلسفة الإغريقية.

فما حقيقة الوجود؟ وما الأدلة على وجود الله تعالى؟

نص الانطلاق

يقول ابن سينا: «إن واجب الوجود بذاته لا علة له، وإن ممكن الوجود بذاته له علة، وإن الواجب الوجود بذاته واجب الوجود من جميع جهاته، وإن الواجب الوجود لا يمكن أن يكون وجوده مكافئاً لوجود آخر، فيكون كل واحد منهما مساوياً للآخر في وجوب الوجود ويتلزمان. وإن الواجب الوجود لا يجوز أن يجتمع وجوده عن الكثرة ألّبتة. وإن الواجب الوجود لا يجوز أن تكون الحقيقة التي له مشتركة فيها بوجه من الوجوه، حتى يلزم من تصحيحنا ذلك أن يكون واجب الوجود غير مضاف، ولا متغير، ولا متكرر، ولا مشارك في وجوده الذي يخصه». [كتاب الشفاء - الإلهيات - ص 49-50]

الفهم

الشرح:

- **واجب الوجود:** هو الله تعالى .
 - **مكافئ:** مماثلاً ومساوياً في قيمته وقدره .
 - **متكثّر:** كميّ .
- أستخلص من النص أدلة وجود واجب الوجود سبحانه.

التحليل

نتناول هذا الدرس من خلال المسألتين الآتيتين:

المسألة الأولى: الوجود صفة من صفات الله سبحانه وتعالى

الوجود صفة نفسية، «وحقيقة صفة النفس كل صفة إثباتٍ لنفسٍ، لازمة ما بقيت النفس، غير معللة بعلة قائمة بالموصوف» [الإرشاد لإمام الحرمين، ص35]، فالوجود عين الموجود، أو هو نفس الموجود، وليس شيئاً زائداً على الذات، يقول إمام الحرمين: «والوجه المرضي أن لا يُعد الوجود من الصفات، فإن الوجود نفس الذات، وليس بمثابة التحيز للجوهر» [الإرشاد، ص36]، وقال الإمام السنوسي: «الصفة النفسية، وهي الوجود، ومعناه ظاهر، وفي عد الوجود صفة على مذهب الشيخ الأشعري تسامح؛ لأنه عنده عين الذات، ليس بزائد عليها، والذات ليس بصفة، لكن لما كان الوجود توصف به الذات في اللفظ فيقال: ذات مولانا عز وجل موجودة صح أن يعد صفة على الجملة» [شرح العقيدة الصغرى، ص143]، وقال في شرح المقدمات: «فإن صفاته تبارك وتعالى تنقسم إلى أقسام: الأول: ما يعبر به عن الذات العلية وهي الوجود...» [شرح المقدمات، ص137] فهو سبحانه وتعالى واجب الوجود بذاته، ووجوده وجود مطلق، غير معلل بعلة؛ فإن «واجب الوجود بذاته لا علة له، وإن ممكن الوجود بذاته له علة، وإن الواجب الوجود بذاته واجب الوجود من جميع جهاته» [كتاب الشفاء-الالهيات-، ص49]

وهو سبحانه مبدأ وجود جميع الموجودات، ووجوده غير معلل بعلة، يقول ابن سينا: «لأنه إن كانت لواجب الوجود علة في وجوده كان وجوده بها، وكل ما وجوده بشيء فإذا اعتُبر بذاته دونه لم يجب له وجود، وكل ما إذا اعتُبر بذاته دون غيره، ولم يجب له وجود، فليس واجب الوجود بذاته، فتبين أنه إن كان لواجب الواجب الوجود بذاته في ذاته علة لم يكن واجب الوجود

بذاته» [الشفاء- الإلهيات-، ص50]، لا يشاركه سبحانه في وجوب وجوده شيء، يقول ابن سينا: «فواجب الوجود واحد لا يشاركه في رتبته شيء، فلا شيء سواه واجب الوجود، وإذا لا شيء سواه واجب الوجود، فهو مبدأ وجوب الوجود لكل شيء ويوجبه إيجاباً أولياً أو بواسطة، وإذا كان كل شيء غيره فوجوده من وجوده فهو أول، ولا نعني بالأول معنى ينضاف إلى وجوب وجوده حتى يتكرر به وجود وجوده، بل نعني به اعتبار إضافته إلى غيره». [الشفاء- الإلهيات-، ص366]

إن منهج القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الصانع عز وجل يخاطب العقل والقلب معا، فقد دعا إلى النظر والتأمل في الأكوان واستشعار النعم لمعرفة عظمة الخالق المنعم سبحانه، يقول سبحانه: ﴿فَخَلَقْنَاكُمْ قُلُوبًا تَفْقَهُونَ ۖ فَؤُوقَ ۖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 60 أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 61﴾ 60 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 61﴾ 61 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 62﴾ 62 ﴿فَخَلَقْنَاكُمْ قُلُوبًا تَفْقَهُونَ ۖ فَؤُوقَ ۖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 63﴾ 63 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 64﴾ 64 ﴿فَخَلَقْنَاكُمْ قُلُوبًا تَفْقَهُونَ ۖ فَؤُوقَ ۖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 65﴾ 65 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 66﴾ 66 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 67﴾ 67 ﴿فَخَلَقْنَاكُمْ قُلُوبًا تَفْقَهُونَ ۖ فَؤُوقَ ۖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 68﴾ 68 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 69﴾ 69 ﴿فَخَلَقْنَاكُمْ قُلُوبًا تَفْقَهُونَ ۖ فَؤُوقَ ۖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 70﴾ 70 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 71﴾ 71 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 72﴾ 72 ﴿فَخَلَقْنَاكُمْ قُلُوبًا تَفْقَهُونَ ۖ فَؤُوقَ ۖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 73﴾ 73 ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 74﴾ 74 ﴿فَخَلَقْنَاكُمْ قُلُوبًا تَفْقَهُونَ ۖ فَؤُوقَ ۖ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۖ 75﴾ 75 [الواقعة

72-57]. لقد صيغت أدلة القرآن الكريم في منتهى الدقة المنطقية، وسيقت في جو وجداني يأسر القلب، ويهز المشاعر، ويذكي جذوة الحس العقدي ايقاظا وتفهما وتنبيها في أسلوب يمس نياط القلوب، ويلمس شغاف الأفئدة، يتحدث الإمام الفارابي عن النظر وفحص الموجودات ومراتب ذلك بدءا من النظر في الأعظام والأعداد والمحسوسات، ثم الموجودات الذهنية إلى أن ينتهي الناظر الفاحص إلى موجود لا يكون له مبدأ أصلا فيقول: «... فلا يزال يفحص هكذا إلى أن ينتهي إلى موجود لا يمكن أن يكون له مبدأ أصلا من هذه المبادئ، لا ما ذا وجوده؟ ولا عما ذا وجوده؟ ولا لماذا وجوده؟، بل يكون هو المبدأ الأول لجميع الموجودات التي سلف ذكرها، ويكون هو الذي به وعنه وله وجوده بالأنحاء التي لا يدخلها نقص أصلا، بأكمل الأنحاء التي بها يكون الشيء مبدأ للموجودات». [رسائل أبي نصر الفارابي، ص15]

وتأسيسا على ما سبق فإن كل موجود سواه سبحانه يستمد وجوده منه بالضرورة، يقول ابن سينا: «... فإذا كل شيء إلا الواحد الذي هو لذاته واحد، والموجود الذي هو لذاته موجود، فإنه مستفيد الوجود من غيره، وهو أيس (حيث هو) به، ليس (حيث لا هو) في ذاته، وهذا معنى كون الشيء مبدأ؛ أي نائل الوجود من غيره وله عدم يستحقه في ذاته مطلق». [الشفاء- الإلهيات-، ص364]

المسألة الثانية: أدلة وجود الله في الفلسفة الإسلامية

قضية وجود الله سبحانه وتعالى أساس العقيدة؛ فهو سبحانه منشئ الكون، وخالق الإنسان، وصانع الوجود الدال على وحدانيته وسر عظمته. تعدد وتنوعت الأدلة على وجوده: دليل الوحي، والفطرة، والكون، والتقدير، والتسوية، والهداية:

- **دليل الوحي؛** وهو ما جاءت به الرسل من عهد نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، فكلهم دعوا بالوحي إلى الإقرار بوجود الله وحدانيته وعبادته، إنابة وإخبارا وخضوعا، ونصوص القرآن الكريم - الكتاب المهيمن على ما قبله - حافلة بهذه الأدلة الدالة على وجود الخالق ووحدانيته وعظمته.

- **دليل الكون؛** فالكون مجال التفكير والتأمل، وهو كتاب مفتوح - وحي منظور - أمام العقول والأبصار، فالتأمل فيه يقوده تأمله إلى الإقرار بوجود الله تعالى ووحدانيته الله وتفردية في ملكه وملكوته.

- **دليل الخلق؛** وهو: الاختراع والإيجاد من العدم، ويعتبر دليل الخلق من أعظم الأدلة على وجود الله، ومن أكثرها بدهة ووضوحا. يقول الإمام الباقلاني: «ولا بد لهذا العالم المحدث المصور من محدث مصور، والدليل على ذلك أن الكتابة لا بد لها من كاتب، ولا بد للصورة من مصور، وللبناء من بان، وأنا لا نشك في جهل من خبرنا بكتابة حصلت لا من كاتب وصياغة لا من صانع، فوجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعا؛ إذ كانت أطف وأعجب صنعا من سائر ما يتعذر وجوده لا من صانع من الحركات والتصويرات» [تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل 43/1].

- **دليل التسوية؛** وهي الأحكام والإتقان [لسان العرب، مادة «سوى»]، فالتسوية هي: الاعتدال وإكمال الصنعة، قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَتَفَرُّ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل 88] وقوله تعالى: ﴿مَاتَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَبَٰلُوتٍ﴾. [الملك 3]

- **دلالة الهداية؛** وهي الإرشاد والدلالة لما يوصل إلى المطلوب، وبها يكمل الخلق والتدبير للنظام الكوني والبشري، نفيا للصدفة، والارتجال، والاعتباطية، قال تعالى: ﴿رَبُّنَا إِلَهُ الْعَجَبِ﴾. [طه 50] يقول الامام البيهقي: «لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبیت المبني، المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد؛ فالسما مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالسطح، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهياة للمطاعم والملابس والمآرب وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالمملك البيت المخول ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة

على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام ، وأن له صانعا حكيما ، تامّ القدرة بالغ الحكمة». [الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد 39/1]

وخلاصة القول ما قاله ابن سينا: «إن واجب الوجود لذاته، لا علة له، وإن ممكن الوجود بذاته له علة. وإن الواجب الوجود بذاته، واجب الوجود من جميع جهاته، وإن الواجب الوجود لا يمكن أن يكون وجوده مكافئا لوجود الآخر. فيكون كل واحد منهما مساويا للآخر في وجوب الوجود ويتلازمان. وإن الواجب الوجود لا يجوز أن يجتمع وجوده عن الكثرة البتة. وإن الواجب الوجود لا يجوز أن تكون الحقيقة التي له مشتركا فيها، بوجه من الوجوه. حتى يلزم من تصحيحنا ذلك أن يكون واجب الوجود غير مضاف ولا متغير ولا متكرر ولا مشارك في وجوده الذي يخصه». [كتاب الشفاء - الالهيات -، ص 50]

التقويم

1. أعرف حقيقة وجوده تعالى؛

2. أبين أدلة وجوده تعالى مع بسط الكلام فيها.

الاستثمار

قال ابن رشد: «فقد بان من هذه الأدلة أن الدلالة على وجود الصانع منحصرة في هذين الجنسين: دلالة العناية ودلالة الاختراع، وتبين أن هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص، وأعني بالخواص العلماء، وطريقة الجمهور، وإنما الاختلاف بين المعرفتين بالتفصيل؛ أعني أن الجمهور يقتصرون من معرفة العناية والاختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس، وأما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان؛ أعني من العناية والاختراع، ...»

[مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص 153-154 بتصرف]

أناقش هذا النص مبرزاً من خلال المناقشة أدلة ابن رشد الحفيد في إثبات وجود الله تعالى.

الإعداد القبلي

أعد - رفقة أصدقائي - ورقة عن أفعال الله تعالى.